العلاقات الدولية والمفاهيم الدبلوماسية عند الآموريين
–بلاد الرافدين أنموذجاً دراسة تمهيدية–

أ.م.د. عماد طارق توفيق
قسم التاريخ/ كلية التربية للبنات
جامعة بغداد

الملخص

يمثل العصر الآموري نقطة تحول جذري في تاريخ العراق شمل كافة نواحيه الحضارية والسياسية والسكانية، ومن ضمنها العلاقات بين الممالك ولضمان الولاءات لجأوا إلى المعاهدات التي تفاوتت تبعا لقوة المملكة أو تبعتها لأخرى، إذ اصبح لكل نوع اسلوبه وطقوسه تناول بحثنا دراسة العلاقات في هذا العصر والمفاهيم الأساسية التي ارسى اسسها الآموريون لقد اتصفت العلاقات بين الممالك بالتناقضات وتراوحت بين العداء والصداقة وفقا للمصالح المشتركة والأخطار التي تواجه المملكة ،وتعد شخصية الملك المحور الرئيس لإقامة المعاهدة التي تؤطر بالدين لإضافة الشرعية لها .تناول بحثنا اسم وموطن الآموريون والعلاقات السياسية بين ممالك الآموريين لإظهار المفاهيم وصولا لتوحيد البلاد على يد حمورابي .توصلنا إلى ابراز الجذور التاريخية التي كانت اساس اقامة المعاهدات وهي بلا شك تمثل تقاليد القبيلة التي يحكمها الشيخ الذي اصبح لاحقا الملك .

الكلمات المفتاحية : علاقات – حضارة –اموريون.

المقدمة

تعد دراسة تاريخ الآموريين أو العموريين في بلاد الرافدين من ابرز العناصر الحضارية التي ساهمت في وضع بصمة واضحة في مختلف مناحي الحياة ،وهي اولى محطات التغيير السكاني والسياسي والحضاري ، وضعوا اسس المعاهدات مع رسم السياسة الداخلية والخارجية للمملكة والتي وضعها الملك باعتباره السلطة المطلقة المفوضة من إله المملكة والمتحدث نيابة عنها .

ذكر الآموريون في المدونات السومرية والأكدية واستمر تأثيرهم السياسي والحضاري عند الفراعنة والحثيين ، ويلاحظ إن تدفق القبائل الآمورية في بلاد الرافدين تسبب في تغيير طبيعة السكان بشكل جذري فضلا عن ادخال التقاليد والأعراف القبلية ضمن القوانين والمعاهدات

لاسيما ما يصاحب المعاهدة من طقوس وشعائر نعتقد انها موروث قبلي لتقاليد سادت فيها، إن مبدأ التكافؤ في القوة والتبعية ترك اثره واضحا في صياغة المعاهدة والطقوس المصاحبة لإقرارها وهو ما اشرنا له في متن البحث .

لقد كانت العلاقات الدولية بين ممالك العصر متباينة ومتناقضة بين عداء وصداقة ومهادنة وحروب ، فالتناقض والفوضى في مسار العلاقات كان الغالب.

وفي الواقع نجح حمورابي في ما امتلكه من حنكة سياسية ودهاء من انهاء حالة التشرذم لصالحه وتوحيد الممالك الآمورية في مملكة واحدة هي المملكة البابلية وعاصمته بابل عاصمة التوحيد السياسي لبلاد الرافدين.

الآموريون التسمية والموطن:

عرف الآموريون منذ العصور السومرية باسم مارتو وهي إشارة إلى بلادهم، فيما سماهم الأكديون آمور التي تعني بلاد الغرب أو أرض مستقر الشمس(١).

وقد تواجدوا في منطقة جبل بشري المتكون من سلسلة مرتفعات منخفضة أعلى قمة ارتفاعها ٨٥٦م فوق مستوى سطح البحر في سوريا(٢).

ورد ذكرهم في المصادر المسمارية، فكان أول ظهور لكلمة مارتو المرادفة لآمورو في عقد بيع عقار مؤرخ لعصر فجر السلالات الثالث(٣).

عرفت بلادهم باسم بلاد آمورو وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط الذي كان يسمى بحر أمورو العظيم، وبالرغم من تكوين سلالات حاكمة في بلاد الرافدين والشام إلا أن تأثيرهم الحضاري استمر حتى بعد زوال نفوذهم السياسي، فلم يغيبوا عن المدونات الحثية والفرعونية بوصفهم قوة مؤثرة في سير الحملات العسكرية المتبادلة بين الحيثيين والمصريين وقبلهم الميتانيين والتي كانت أرض الشام مسرح الصراع السياسي، وفي هذا المجال ذكرت النصوص الفرعونية وجود مدن آمورية محصنة في سوريا وفلسطين فضلاً عن اختراقهم لمصر حيث عرفوا باسم الهكسوس رغم تشكيك البعض من المؤرخين(٤).

فضلاً عن إقامة معاهدات مع الحثيين من خلال ممالكهم في بلاد الشام والتي ذكرتها المصادر الحثية بوصفها ممالك ذوات أدوار سياسية بارزة(٥)

بيد أنهم في بلاد الرافدين قد بدأوا بهجراتهم منذ عهد الملك السومري شوسين الذي حكم بين السنوات ٢٠٣٨-٢٠٣٠ ق.م وتحديداً منذ عام حكمه الثالث، ولعدم استطاعته السيطرة على تدفقهم لجأ إلى تشييد سور كبير في العام المذكور هدفه إيقاف تدفق القبائل الآمورية نحو السهل الرسوبي، وكان هذا السور المسمى مورق تيدنم قرب هيت(٦)، الواقعة

---

(١) الشيخلي، عبد القادر،(١٩٩٠) ، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، ج١، الوجيز في تاريخ العراق القديم، الموصل، ، ص١١٠.

(2) Buccellati,G,(1966), The Amorites of Ur III period, Naples p. 236.

(٣) سليمان، عامر(١٩٩١)، منطقة الموصل في الألف الثالث ق.م والألف الثاني ق.م، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، الطبعة الأولى، الموصل، ص٨٠ هامش ١.

(4) Hallo,W andSimpson,W,(1971), The Ancient Near East History, USA, , p. 77.

(5) Melamad,A,(1954), Cushan Rishathaim and the decline of the Near East around 1200 B.C. JNES, 1314, p. 240.

(6) Hallo, WandSimpson,W, Op. Cit., p. 75.

غرب الأنبار وهي توتول القديمة، وربما في العام الرابع من حكمه والذي ساهم في إيقاف التدفق لمدة قصيرة[١].

فبعد تولي الملك أبي سين(٢٠٢٨-٢٠٠٤ق.م) وهو آخر ملك في سلالة أور الثالثة السومرية تمكنوا من دخول السهل الرسوبي وازداد توغلهم في عمق بلاد الرافدين[٢].

وبذلك بدأت المدن السومرية تتساقط الواحدة تلو الأخرى ووصلت القبائل إلى شمال وشرق وجنوب البلاد.

المعاهدات والأعراف الدبلوماسية:

نتج عن سقوط سلالة أور الثالثة السومرية بروز فجر متغيرات سياسية قادت لظهور أساليب وأعراف دبلوماسية لها مراسيم وأعراف معززة بالإطار الديني فضلاً عن أطر المعاهدات ذوات الأهداف المتنوعة في أغلبها عسكرية أو تحالفات بين ممالك متكافئة القوة وأخرى صغيرة تابعة، فلكل واحدة إطارها وأسلوبها فضلاً عن تبادل السفراء لدى البلاط الملكي.

وجب الالتزام بالنص المدون، أي المعاهدة التي كانت تسمى (وثيقة حياة الأرباب) [٣] في العصر الآموري أو العصر البابلي القديم كما يميل معظم الباحثين إلى تسميته وجدت نوعين من الأحلاف والمعاهدات ولكل نوع أسلوبه وشروطه.

النوع الأول: يتم بين الممالك المتكافئة بالقوة والسيادة [٤].

النوع الثاني: كان بين ممالك قوية وأخرى تابعة صغيرة، ولذلك نلاحظ أن اختلاف نوع المعاهدة أوجب بالضرورة اختلاف صيغ المخاطبة، فالصيغة المتبعة بين ملوك الدول المتكافئة تكون (أخي) والمراسيم المتبعة هي مسك الحنجرة وتعني حتمية الموت لمن ينقضها[٥].

---

(1) Mercer,S (1946), Sumero-Babylonian year-formulae. London, p.12.

(2) Dates,J(1979), Babylon, London, . P. 50.

(٣)الأحمد، سامي سعيد(١٩٨٣)، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، ج١، العراق القديم، ج٢، بغداد، ص٢٣٦.

(٤) سليمان، عامر(١٩٨٥)، العلاقات السياسية الخارجية، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ص١٢٣.

(5)Munn-Rankn,J.M (1956) ,Diplomacy in Western Asia in the early second millennium, B.C. Iraq, 18/1, , p. 89-90.

والنوع الثاني استخدمت عبارة الأب كصيغة مخاطبة في المعاهدة فضلاً عن عبارة (ولدي) للغرض ذاته[١].

تصاحب هذا النوع شعائر مسك حاشية الملك أو صولجانه من قبل التابع دلالة اتباع الملك فضلاً عن التضحية بحمار صغير أو جلب شجر مورق[٢].

وطبيعي أن لكل شعيرة تفسيرها بحسب العقيدة الدينية للآموريين، لكن عموماً أن المعاهدات كانت تدون على رقم وتحفظ أمام تمثال الآلهة للدول الموقعة في التحالف فضلاً عن وجود مندوبين من كل طرف من المتعاقدين يلتقون لمناقشة تفاصيل المعاهدة والمقترحات الخاصة بجوانبها قبل مراسيم الموافقة والتوقيع عليها من قبل الملوك.

أحياناً يسبق التفاوض احتجاز رهائن، وهذا ما وجد في نصوص الملك الآشوري شمشي أدد الأول عندما وقع معاهدة سلام مع قبائل الويلانو[٣].

إن التفسير المنطقي لهكذا نوع من التعامل الدولي هو الخشية من العودة عن توقيع المعاهدة فضلاً عن عامل ضغط نفسي على الخصوم للإسراع في القبول بشروط المعاهدة، وهذا غالباً ما لاحظناه في حالة توقيع معاهدة سلام مع القبائل الثائرة.

إن مفهوم الدبلوماسية لدى الآموريين أكدته نصوص تحدثت عن وصول ومغادرة السفراء والمبعوثين أو المعتمدين لدى البلاطات الملكية.

يعد السفراء الممثلين لممالكهم أشخاصاً مهمين في البلاط الملكي، لذا أولى الملوك اهتماماً يليق بهم كونهم يمثلون الملك في الدولة، وهم ذوو مراكز عالية مرموقة، وأحياناً يتم إرسال مبعوثين لهم صلاحيات التفاوض مع الملوك، أي بمثابة الناطق الرسمي للملك.

وفق هذا التصور فإن عودة السفراء دون مرافقين أو حرس يعرض العلاقات للتأزم وهو بمثابة الإهانة للملك[٤].

آمن الملوك بالطالع واستشعار رأي الآلهة بخصوص استقبال الرسل والسفراء، فضلاً عن زيارة الملوك والتزاور بين الممالك.

---

(١) الأحمد، سامي سعيد ، مصدر سابق، ص٢٤٠.

(٢) الدليمي ،محمد صبحي (١٩٩٠)، العراق وبلاد الشام، الصلات الحضارية والسياسية منذ عصور قبل التاريخ حتى العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، ، ص٣٧٨.

(٣) سليمان ،عامر ، مصدر سابق، ص١٢٥

(4) Munn-Rankn, J.M, Op. Cit., p. 106

ومن الأعراف الدبلوماسية لدى الآموريين أنه في حالة وفاة الملك التابع يقدم خليفته الولاء للملك القوي[١].

ساهمت النصوص المكتشفة في رسم صورة للبلاط الملكي إذ كان يعقد الملك اجتماعاً رسمياً صباح كل يوم يحضره موظفون وسفراء، ويتولى الوزراء قراءة الرسائل من الحكام أو من نواب الملك التي تتضمن تقارير عن حالة المملكة وشؤون المواطنين، كذلك تولى الملك حسم المنازعات القضائية والدعاوى الخطرة[٢].

العلاقات الدولية بين ممالك الآموريين:

شكلت القبائل الآمورية بعد تغلغلها في بلاد الرافدين ممالك عديدة توزعت في كل أرجاء البلاد من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها.

وتوزعت بين ممالك صغيرة وأخرى كبيرة.

أولى الممالك في العصر الجديد كانت هي مملكة أشنونا(تمثل بقاياها تل اسمر في بغداد الجديدة) التي انفصلت عن الحكم السومري منذ العام الثاني من تولي أبي سين آخر ملوك السلالة الثالثة في أور مقاليد الحكم وبسبب موقعها المتميز في المثلث المحصور بين نهري دجلة وديالى وسفوح زاكروس غرباً مكنها من الانفصال عن الحكم السومري، وأول ملوكها بلالاما ابن الملك كيري–كيري والمعاصر لمملكة دير (تلول العقرب) قرب بدرة، وكان ملكها حينذاك آنو–متبل، ويفترض أن عوامل عديدة ساعدت في هذا الانفصال المبكر ربما من أهمها ضعف الملك وتدفق القبائل الآمورية التي ساهمت في قطع طرق الاتصالات والتجارة بين أجزاء المملكة السومرية.

من أشهر ملوكها أبق أدد الثاني(١٨٥٠–١٨١٣ق.م) ابن الملك ايبالبيل الأول الذي اتسم بالقوة فضلاً عن توسيع نفوذ مملكته ووصولها إلى الفرات الأوسط عند مدينة رابيقوم وقبارا في أربيل. أما آخر ملوك أشنونا فهو صلي–سين(١٧٦٧–١٧٦١ق.م)والذي تخلى عن تحالفه مع بابل وبذلك شهد سقوط المملكة على يد حمورابي في العام ١٧٦١ ق.م[٣].

---

(١) توفيق ،عماد طارق (٢٠٢٠)، الآموريون، تاريخهم وحضارتهم في الألف الثاني ق.م، بغداد، ، ص٨٠.

(٢) ساكز، هاري (٢٠١٧) ، الحياة اليومية في العراق القديم، بلاد بابل وآشور، ترجمة كاظم سعد الدين، طبعة ثانية، بغداد، ص٧٥.

(٣) الماجدي، خزعل (٢٠١٦)، الآموريون، الساميون الأوائل، الطبعة الأولى، بغداد، ص٥٩.

يتضح لنا أن مملكة أشنونا ساهمت منذ بداية نشأتها في تعبيد الطريق للقبائل الآمورية نحو احتلال كامل وادي نهر ديالى الأسفل بضمنه مركز مدينة توتوب(تل خفاجي في منطقة ديالى) فضلاً عن شهود المملكة فترة من الاضطرابات التي نتجت عن وفاة بلالاما وفيها سقوط أشنونا بيد ملك دير ثم هزيمتها عسكرياً أمام كيش(الواقعة قرب بابل وتسمى اليوم تلول الأحيمر) قبل تسلّم أبق أدد الثاني حكم المملكة والذي قاد حملة عسكرية كما أسلفنا كان هدفها السيطرة على الطريق التجاري الواصلة بين الشمال والشرق وربط العاصمة مع عيلام(١).

أما مملكة أيسن (تلول ايشان البحريات) فقد نشأت لظروف أملتها الحاجة الاقتصادية في العاصمة أور، فبسبب الضائقة الاقتصادية طلب حاكمها إيشبي أيرا (٢٠١٧-١٩٨٥ق.م) الاعتراف به من قبل ملك السلالة السومرية أبي سين حاكماً رسمياً، وبذلك نشأت المملكة الواقعة على بعد ٢٤ كم جنوب عفك، ٢٨ كم جنوب غرب نفر (تلول ايشان البحريات) وهي تعد الوريث في حكم بلاد سومر وأول ملوكها المستقلين هو إيشبي أيرا الذي دام حكمه ٣٢ عاماً، بعده تمكن حلفاؤه من توسيع نفوذ المملكة. ومن الملوك الذين ذكرتهم النصوص ليت عشتارخامس الملوك حكم بين الأعوام (١٩٣٥-١٩٢٤ق.م) صاحب شريعة باسمه مدونة باللغة السومرية. والمهم أن مملكة أيسن لم تخلُ من الاضطرابات الداخلية والهزائم العسكرية، إذ انفصلت أوروك عنها مكونة سلالة حاكمة كان من ملوكها وقتذاك سين-كاشد وسن جميل فضلاً عن انفصال ماري مشكّلة سلالة حاكمة لتصبح بعدها محطة لمرور الآموريين من سوريا. وكان من شدة الأوضاع المضطربة وضعف حكامها أن أصبحت تابعة لمملكة لارسا في عهد الملك ريم-سين عام ١٧٩٤ ق.م.

وفي الحقيقة أن عهد الملك أنليل-باني(١٨٦٠-١٨٣٧ق.م)المرجح اغتياله، يعد آخر عهود المملكة بوصفه لاعباً رئيساً في دائرة صراع القوى الذي شمل لارسا، بابل، الوركاء لتخضع في النهاية لحكم حمورابي(٢).

إن المملكة تدهورت منذ عهد الملك أشمي-داكان (١٩٥٣-١٩٣٠ق.م)واستمرت خلال عهد الملك لبت عشتار وبسيطرة لارسا على المملكة قبل سقوطها بيد حمورابي تمت السيطرة على طريق التجارة البرية الخارجية القادم من البحرين والمار بها(٣).

---

(١) رو، جورج (١٩٨٤)، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ، ص٢٥٤.

(٢) الماجدي ،خزعل، مصدر سابق، ص٦٩.

(٣) ساكز، هاري(١٩٧٩) ، عظمة بابل، ترجمة د. عامر سليمان، الطبعة الثانية، الموصل، ص٨١.

وما دمنا في الحديث عن العلاقة بين مملكة أيسن ولارسا نقول أن مملكة لارسا (تلول سنكرة قرب الشطرة)والتي تعد أبرز اللاعبين في تلك الفترة تزامن إنشاؤها مع أيسن وبسبب العداء بين المملكتين تحالفت لارسا مع العيلاميين. والواقع أن مؤسسها شيخ آموري يدعى نبلانم دام حكمه عشرون عاماً(حكم خلال الأعوام٢٠٢٥-٢٠٠٥ق.م) عاصر في قسم منه حكم أبي-سين آخر ملوك الأسرة الثالثة السومرية في أور، لكن مملكة لارسا (تلول سنكرة قرب الشطرة) بلغت قوتها في عهد الملك كونكونم (١٩٣٢-١٩٠٦ق.م)الذي عاصر ملك أيسن لبت عشتار، إذ تمكن خلفاء كونكونم من توسيع نفوذهم العسكري تجاه شمال بلاد بابل وسيطروا على نفر والوركاء بموازاة المشاريع الإروائية التي أقاموها. ويبدو أنهم كانوا يعون حقيقة مثل قائل "من سيطر على قنوات الري سيطر على البلاد"، إذ من المحتمل أن عدم الاهتمام بالمبدأ أعلاه كان من جملة العوامل التي ساعدت على انهيار سلالة أور الثالثة ،وقاد إلى توسع المملكة مع توسع مملكة بابل ووصول القوتين إلى حافة الحرب، وهذا ما حصل فعلاً وأدى إلى سقوط سلالة لارسا لاحقاً[١].

يعد الملك ريم-سين (١٨٢٢-١٧٦٣ق.م)من أقوى ملوك السلالة، فهو لم يكتفِ بتوسيع مملكته فقط بل ضم مملكة أيسن إضافة إلى الجنوب وصولاً إلى الخليج العربي وهو من قبيلة يموت بعل التي اتجهت نحو ميسان في بداية تغلغلها في بلاد الرافدين بقيادة والده كودور-مابك الذي يعتقد انه تخلص من سيطرة مملكة كزالو وسيطر عليها والذي تمتع بنفوذ كبير بحيث استغل موقعه ضمن القبيلة ليعين ولديه في عرش لارسا بعد إخضاعها له، فكان ورد-سين أولاً أعقبه أخوه ريم-سين والذي شهد لاحقاً سقوط الأسرة الحاكمة على يد حمورابي ملك بابل.

شملت السلالات الحاكمة الآمورية كذلك قيام مملكة ماري (تل الحريري قرب البوكمال السورية) وكان أشهر ملوكها يخدون ليم الذي سقطت المملكة في عهده بيد شمشي أدد الأول، وسبق وعاصر أئيلا كبكابو والد شمشي أدد والذي ارتبط معه بمعاهدة صداقة، علماً أن أئيلا كبكابو كان حاكم ترقة، ولكن الأخير غزا مملكة ماري وساد الصراع بينهما، لكن الآشوريين دبروا محاولة اغتيال ليخدون ليم بوساطة الخدم الخاص وبمساعدة شمشي أدد الأول الذي دخل ماري وترك ابنه يسمح أدد نائباً عنه عن عرش المملكة.

وفي الختام تمكن زمري ليم من استعادة عرش أبيه من الآشوريين بمساعدة من مملكة حلب.

---

(١) ساكز، هاري(١٩٧٩)، المصدر السابق، ص٨٢.

إن القوة الآشورية بدأت ملامحها في عصر الملك شمشي أدد الأول الذي يعد مؤسس الإمبراطورية الآشورية الأولى والذي تمكن من اغتصاب عرش مدينة ايكالاتوم وطرد شقيقه أمينو الذي خلف أباه أئيلا كبكابو، إذ تذكر قوائم أسماء الملوك الآشوريين أن أجداد شمشي أدد الأول كانوا يسكنون الخيام، وقد اعتبر حاكماً إدارياً واقتصادياً، إذ كان يتولى بنفسه إدارة الدولة فضلاً عن الاهتمام بالأمور الزراعية، وكان أول من دعا لاستخدام محراث جديد وتوطين البدو في مستوطنات مستقرة، وهو من الحكام الأوائل المعاصرين لحمورابي، ويعتقد أن الأخير تأثر به وقسم إمبراطوريته بين ولديه أشمي–داكان ويسمح أدد[١].

ذكرنا في معرض حديثنا أن شمشي أدد الأول[*] دام حكمه ٣٣ عاماً شهدت فيه المنطقة العديد من المتغيرات السياسية، إذ اتصف بدهائه ومقدرته العسكرية، ونجح في إزاحة أشنونا بوصفها قوة قائدة في أعالي دجلة، وتوسع غرباً نحو البحر المتوسط فضلاً عن التوسع شمالاً إلى مملكة توكريش الجبلية وشمالي عيلام الذين أرسلوا له الجزية، وبدلاً من الاعتماد على آمري وضباط جيشه. قسّم الإمبراطورية مع ولديه، إذ كان أشمي–داكان مسؤولاً عن القسم الشرقي وعاصمته ايكالاتوم التي تبعد ١٨ كم من آشور على الضفة الأخرى لدجلة، وكان يسمح أدد مسؤولاً في ماري عن القسم الغربي، بينما تمركز شمشي–أدد في شوبات أنليل[٢].

إن العلاقات بين مملكة آشور ومملكة أشنونا شابها الكثير من التقلبات، ففي الوقت الذي سبق وأن تحالف شمشي أدد مع دادوشا ملك أشنونا بقصد بسط نفوذه بين الزابين عاد ونقض تحالفه مع المملكة آنفة الذكر بعد وفاة داودشا[٣].

من الممالك الأمورية التي شكلت قوة رئيسية في العصر مملكة بابل التي نجحت في النهاية بقيادة حمورابي إلى توحيد البلاد لمدة نعدها وجيزة.

يعود تأسيس مملكة بابل بسلالتها الأولى إلى شيخ قبيلة الأمنانوم سومو أبوم الذي انفصل بالمدينة معلناً نفسه ملكاً عليها، وفي عهده ضم مدينتي كيش ودلبات.

---

(١) ابو طالب، عماد عبد العظيم (٢٠١٥) ، تاريخ العراق القديم، الطبعة الأولى، القاهرة، ص١٧٢.

(*) شمشي ادد يرجح قدومه من ترقة (تل إشارة هاجر إلى بابل طلبا للعون والزحف إلى ايكالاتوم حيث خلع الملك الآشوري ايريشوم الثاني والإستيلاء على العرش /الباحث.

(٢) دالي، ستيفاني(٢٠٠٨)، ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان)، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، ص٥٩.

(٣) الماجدي، خزعل ، مصدر سابق، ٢٠١٦، ص٩٤.

ويعتبر الملك سومولائيل(١٨٨٠-١٨٤٥ق.م) المؤسس الحقيقي للمملكة البابلية، حيث وسع المملكة، وفي عصره حدث انقلاب كبير في الديانة الآمورية إذ ارتفعت مكانة مردوخ وأصبح بديلاً عن أمورو فضلاً عن ارتفاع مكانة عشتار[١].

قاد حملات عسكرية للمناطق الجنوبية وعاد الصراع مع كيش إذ تمكن في عام حكمه التاسع عشر من تدميرها[٢]. وتبعها في العام اللاحق أي العشرين من تدمير مملكة كزالو[٣] فضلاً عن إقامة تحالف مع مملكة دلبات في عهد ملكها يموتبعل، ولكن في عهد الملك سابيئوم الذي حكم للفترة ١٨٤٤-١٨٣١ ق.م خاض معارك مع سبار ولارسا وادعى ضمه لمملكة سبار وانتصاره على الأخرى[٤].

لكن لظروف غير مفهومة عادت بابل للتحالف مع لارسا ضد مملكة كزالو التي يبدو أنها عادت للاستقلال بعد وفاة سومولائيل وربما قادت ثورة ضد بابل[٥].

كانت لبابل علاقات ودية وتحالف مع مملكة الوركاء بقيادة ملكها سين-كاشيد[٦]. وفي عهد الملك سين موبالط ١٨١٢-١٧٩٣ ق.م أقام تحالفاً عسكرياً كبيراً ضم أيسن ورابيقوم وقبائل السوتو، وكانت مملكة الوركاء قائدة ذلك التحالف الذي اشترك فيه البابليون وهدفه وقف قوة مملكة لارسا وملكها وقتذاك ريم-سين، وقد فشل التحالف في مسعاه بالرغم من سعة المشاركين فيه[٧].

ولكن بمجيء حمورابي للحكم فهو يعتبر أقوى ملك أموري استطاع توحيد البلاد متبعاً سياسة حكيمة بطيئة استندت إلى السلم مرة وإلى الحرب مرة أخرى، وفي عصره أصبح للآلهة آنو وأنليل وشمش أدواراً مهمة في المجتمع الإلهي. وقد دام حكمه ٤٢ عاماً، لذا شغل بداية حكمه بناء وترميم المعابد وتقديم الأعلاف والملابس لخدمة الآلهة المقيمين فيها ودعم الكهنة

---

(١) الماجدي، خزعل (٢٠١٩) ، الحضارات السامية المبكرة، الطبعة الثانية، بيروت، ص٣٠١.

(٢) فيلكة، كلاوس (١٩٨٥)، قانون البيع وتاريخ جيران بابل، سومر، مجلد ٤١، ص١٢٠.

(3) Mercer,S., Op. Cit., p. 32.

(٤) كلنغل، هورست (١٩٨٧)، حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، ص٣٤.

(٥) رشيد، فوزي(١٩٩١)، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد، الطبعة الأولى، بغداد، ص٢٧.

(6) AL-Ruweshdi,S.(1966), The king Sinkashed, Sumer 22 p. 107.

(7) Frankfort,H. and et al(1940)., Girul sin temple and the palace of rulers at Tell Asmar, OIP, 43. , p. 128.

من أجل الحصول على رضاهم تجاه الدولة[١]. هو أشهر الملوك، عرف بدقته في الشؤون الإدارية والسياسية والعسكرية، وقد مثلت السنوات ٦-١٠ من حكمه بشن غارات خارج بابل، ففي العام السادس احتل مدينة آيسن والوركاء ويمو تبعل، وفي العام الثامن هاجم مملكة مالقيوم على حافة حدود مملكة أشنونا، وفي السنة الحادية عشر استولى على رابيقوم. هذه السياسة تدل على دبلوماسية مع ماري وشمشي أدد، وتعني تقسيم السيادة. أما السنوات التالية بين ١١-١٧ فخصصت لتشييد المباني الدينية، تلتها سنوات ١٨-٢٤ لأعمال الإرواء والتحصينات الدفاعية.

تلتها الاعوام ٢٥-٢٨ للأنشطة الدينية وشملت الاعوام اللاحقة الأنشطة العسكرية. في العام ٢٩ تحالف مع ماري لهزيمة أشنونا فتم له ذلك، تبعه في العام ٣٠ حملة عسكرية ضد عيلام، ثم تتابعت عملياته العسكرية فسيطر على بلاد آشور، وفي العام ٣٢ هاجم ماري واحتلها، وفي العام ٣٤ وصلت جيوشه حدود ممالك شوبارتو وتوركو، وقبلها كان قد استولى على لارسا. وبذلك أصبح حمورابي سيد بلاد الرافدين بدون منازع[٢].

من الناحية العسكرية تعد معاركه مع مملكة لارسا من أشرسها وأقواها، فهي بدأت مع محاولة حمورابي الاستيلاء على أيسن وهي خط الدفاع الأول لإمبراطورية الملك ريم-سين.

ونتيجة تمدد مملكة بابل نحو الجنوب فقد اصطدمت مع مملكة لارسا في عهد ريم-سين، ولكن يبدو أن الأخير كان من الضعف بمكان بحيث أنه لم يقو على مقاومة المد البابلي.

لقد اتبع حمورابي نظاماً مركزياً بإدارة مركزية لخشيته من انفصال بعض المدن أو تمردها وليضمن سرعة التواصل الإداري بين العاصمة والمناطق الأخرى تم ربطها بشبكة مواصلات، واهتم بالبريد السريع بالاعتماد على الرجال العدائين، إذ كانت الطرق تقسم إلى مناطق يقف عندها هؤلاء الرجال لإيصال ما يستلموه من مراسلات إلى مسؤولي المرحلة التالية في الطريق وهكذا فضلاً عن الاهتمام بالجانب الاقتصادي من خلال شق الترع والقنوات لإيصال المياه إلى المناطق الجدباء واستصلاح الأراضي[٣].

أشرنا إلى حقيقة تاريخية مفادها أن توحيد البلاد عسكرياً بقوة السلاح لم يدم طويلاً، وهذا ما لاحظناه بعد وفاة حمورابي وتولي ابنه سمسو ايلونا مقاليد الحكم، ففي البداية كانت الدولة مستقرة، وكان الإشراف على أمور الدولة واضحاً، لكن يبدو أن الضائقة الاقتصادية

---

(١) الصالحي، صلاح رشيد (٢٠١٧)، بلاد الرافدين، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ج١، الطبعة الأولى، بغداد، ص٣٧٣.

(٢)الصالحي، صلاح رشيد (٢٠١٧)، المصدر السابق، ص٣٧٥.

(٣) ابو طالب، عماد عبد العظيم، مصدر سابق، ص١٧٥-١٧٦.

بدأت في عهده، والدليل إعفاء بلاد سومر وأكد يعني مدناً في المنطقتين الوسطى والجنوبية من الضرائب، وهو ما يشير إليه العام الخامس من توليه الحكم. ولكن في العام التاسع بدأت المتاعب وانفصال أجزاء من الإمبراطورية البابلية، إذ تمكن الكاشيون من تأسيس مملكة لهم في عنه على نهر الفرات فضلاً عن الثورات ومنها ثورة القطر البحري بقيادة أيلوما ايلوم الذي استقل في القسم الجنوبي من البلاد(١). والذي يعد المؤسس لسلالة القطر البحري الإولى ودام حكمه ٦٠عام، جاء بعد الملك سمسو-ايلونا ملوكاً اتصفت عهودهم بمحاولة السيطرة على الضائقات المالية والاقتصادية وصولاً إلى عهد الملك سمسوديتانا حيث سقطت الأسرة البابلية الأولى عام ١٥١٩ ق.م على يد الحثيين.

ظهرت العديد من السلالات الآمورية الصغيرة التي ورد ذكرها في سنوات حكم الملوك، وهي غالباً ما كانت في صراع مع السلالة التي تذكرها منها مملكة أوروك وملكها سن-كاشد الذي حدد أسعار سلع الحاجيات، وسقطت على يد ريم-سين في عام حكمه العشرين، وسلالة دير، ومن ملوكها ندنوشا، وقد تعرضت في عهد الملك أمي-ديتانا إلى التدمير وانتهى استقلالها على يد مملكة أيسن.

وكذلك سلالة مالقيوم وسبار يخرورم بسبب القبيلة الساكنة فيها، وظهرت في كيش سلالة أمورية، ومن ملوكها أشدونيارم، ومملكة كيسورا (تلول أبو حطاب) ومن ملوكها ايتور شمش بن أذين لوم سقطت في عهد الملك ريم-سين(٢).

لقد تشكلت ممالك آمورية صغيرة عديدة منها ناكيوم وشومو إياموتبلا ودنقتم فضلاً عن تشكيل ممالك لقبائل آمورية انتشرت في حوض نهر ديالى منها على سبيل المثال مملكة شادلاش وسموروم وحورشتم وبيكا إدا-حا المرجح أنها الجذور القديمة لاسم بغداد(٣).

اتسمت العلاقات بين الممالك الآمورية بالتناقضات من خلال التحالفات والتحالفات المضادة، إجمالاً وفي الغالب فقد اتسمت العلاقات بين مملكة لاسا وأيسن بالعداء إذ خاض ملوكها من كلتا المملكتين حروباً ضد بعضهم، مثلاً أبي ساره ملك لارسا يقول انتصاره على قوات أيسن واستمرت متذبذبة في عهود مختلفة تخللتها مدد قصيرة تحسنت فيها العلاقات بعض الشيء لاسيما بين ريم-سين ملك لارسا وملك أيسن سين-ماكر (١٨٢٧-١٨١٧ ق.م)(٤).

---

(١) ابو طالب، عماد عبد العظيم، المصدر السابق، ص١٨٢.

(٢) الماجدي، خزعل، مصدر سابق، ٢٠١٩، ص٣٠٧.

(٣) الماجدي، خزعل، المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٤) توفيق، عماد طارق، المصدر السابق، ص٨٤.

مملكة أيسن كانت علاقاتها مع مملكة دير كذلك عدائية، أما مع مملكة أشنونا فكانت متذبذبة بين تحالف وغزو.

لم تكن علاقات أيسن عدائية فقط مع الممالك آنفة الذكر، فهي كذلك مع عيلام وكزالو لكنها ودية مع مملكة أنشان في عهد الملك أيدن–داكان(١).

من جهة أخرى تميزت سلالة لارسا بنشاط عسكري ودبلوماسي، فقد وصفت بالودية مع مملكة أشنونا في فترة وعدائية في فترة أخرى. وقد طرأ تطور في العلاقة السياسية بين مملكة لارسا وأشنونا في عهود ورد سين وريم سين إذ اتسمت بالجمود والهدوء، ربما يكون السبب بروز سلالة بابل الأولى المرجح أنها شكلت حاجزاً أمام توسع المملكتين وبالتالي تصادمهما عسكرياً. ولعل تحالف مملكة لارسا كان واضحاً مع يسمح أدد نائب شمشي أدد في ماري، وهذا ما يفسر تحرك قوات أشنونا نحو رابيقوم باتجاه ماري، إذ المعلوم أن رابيقوم تمثل خط الدفاع الأول للآشوريين(٢).

وتطورت العلاقة إلى تجارية بين مملكتي لارسا وأشنونا في العام ٤٠ من حكم ريم–سين ثم تطورت لاحقاً إلى حد التحالف، وهذا ما تفرضه المصالح المشتركة.

من جهة أخرى نلاحظ أن علاقة مملكة لارسا مع عيلام كانت عدائية ثم تحولت إلى الودية مع صعود حمورابي للسلطة وملاحظة طموحه العسكري الذي بدأ يتنامى تدريجياً ربما كان الدافع وراء تحسن العلاقة والتحالف.

ولو انتقلنا إلى مملكة أشنونا فالحال أيضاً في العلاقات تراوح بين العداء والتحالف، وبالنسبة مع عيلام فهي متحالفة وودية في معظم تاريخ مملكة أشنونا، واتسمت مع القبائل الآمورية بين الصراع والصداقة، والحال ذاته مع مملكة دير(٣).

لقد كانت العلاقات بين مملكة أشنونا والآشوريين مختلفة، وغالباً ما كان الصراع بينهما يتمركز في مناطق الفرات الأعلى فضلاً عن مناطق الزابين، وقد تبعت حالات المد والجزر بين المملكتين وصول الملوك الأقوياء منهم دادوشا الذي ألحق هزيمة بالآشوريين واستطاع تدمير مدينة ايكالاتوم ثم تقلبت موازين القوى ومعها التحالفات والمشهد السياسي عموماً متقلب بين القوتين(٤).

---

(1) Owen,,D.(1971), Incomplete year formulae of Diddin-Dagan, JCS, 24/I, , p. 18.

(2) Lewy,L.(1956) The historical background of the correspondence of Bahdi-Lim. Orientalia, 25/4, p. 330.

(٣) توفيق، عماد طارق، مصدر سابق، ص٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٨.

مملكة أشنونا في ذات الوقت تحالفت مع بابل ضد مملكة يمخد (حلب)، ولكن يبدو أن الحملة فشلت ومني الجيش البابلي بهزيمة منكرة ولكن المملكة عادت وتحالفت ضد بابل لتعود وتتحالف مع حمورابي في عهد صلي–سين[١].

وهكذا نرى إجمالاً أن العلاقات الدولية بين الممالك الآمورية اتسمت بالتناقض وفق المصالح الشخصية، ولكنها على الأعم الأغلب تتبع شخصية الملك والظروف المحيطة بالمملكة.

إن الآموريين الذين شكلوا كيانات سياسية عديدة في بلاد الرافدين شكلوا كذلك كيانات سياسية في سوريا القديمة منها مملكة ايبلا التي ارتبطت بعلاقات تجارية ودبلوماسية مع بلاد الرافدين ومصر والممالك السورية التي احتلت من قبل حمورابي، لكنها استقلت بعد وفاة حمورابي ودمرت على يد الحثيين، وفي عام ١٦٠٠ ق.م زالت من الوجود.

عبدوا داكان الإله الرئيس وهو إله الغيوم والأمطار والحبوب فضلاً عن بعله زوجته وشيبش إله الشمس.

أما مملكة يمخد (قرب حلب) فهي تقع في خط سير القوافل التجارية، واحتفظت بعلاقات تجارية مع جنوب بلاد الرافدين وكركميش، وكانت قد تصدت لحلف ضم أشنونا وبابل وآشور وانتصرت عليه[٢].

توسعت المملكة في عهد المؤسس يرليم واجتاحتها ثورات تمكن الملك أبا أيل من قمعها، وقد سقطت بيد الحثيين ثم عادت بعد سقوط الحثيين للاستقلال، وكان آخر ملوكها إبليم ليم الذي حدثت في عصره ثورة أنهت الأسرة الحاكمة وهروب الملك إدريمي إلى الالاخ وبمساعدة من مملكة الألاخ والكنعانيين مع قبائل الخابيرو والسوتو من استعادة عرشه ودخل في تحالف مع الميتانيين ودام حكمه ٣٠ سنة. وبمجيء ابنه نقمبا تحالف مع مملكة تونيب الواقعة على تخوم مملكة الالاخ الجنوبية عام ١٢٠٠ ق.م دمرت على يد شعوب البحر.

أما مملكة أمورو فكان لها علاقات مع الفراعنة، وكان ملوكها يتبعون سياسة مزدوجة مع الفراعنة والحوثيين، وفضلاً عن ذكرنا لمجمل الممالك الآمورية توجد مملكة ايمار شمال سوريا على بعد ٩٠ كم جنوب شرق حلب، احتفظت بعلاقات تجارية مع بلاد الرافدين، وهي

(1) Rowton ,M.,(1970), Ancient Western Asia, CAH, Vol. 1, part 1 p.210.

(٢) الماجدي، خزعل، مصدر سابق، ٢٠١٦، ص٣١٤

مملكة صغيرة لها ميناء تجاري عبر الفرات، دمرت عام ١١٨٧ ق.م على يد شعوب بلاد البحر[١].

يلاحظ أن المظاهر السياسية للآموريين سواء كانوا في بلاد الرافدين أم بلاد الشام متقاربة تكاد تكون واحدة مع اختلافات طفيفة تمليها عليها ظروف البيئة والمحيط. فعلى سبيل المثال أن نموذج مملكة ايبلا يمثل الملكية والولاية الوراثية ومشاركة ولي العهد إياه في الحكم، وهذه الصورة غير واضحة في بلاد الرافدين، ونكاد نعتقد بعدم وجودها. فيما يلاحظ أن الشؤون الخارجية والدبلوماسية تكون ضمن اختصاصات الابن الأصغر للملك.

للمملكة مجلس الحكماء والعقلاء، وعادة ما تكون المخاطبات الدولية في الممالك الآمورية لبلاد الشام بصيغة الاين وهو الملك، والكلمة سومرية، بينما مخاطبات الحكام التابعين ديكو أو لوكال وتعني قاضياً محلياً. ويتلقى الملك التقارير المرسلة ومنها التقارير الدبلوماسية التي تشمل العلاقات أو الرسوم التجارية[٢].

لذا لاحظنا أن المفاهيم السياسية والعلاقات السياسية قد طرأ عليها تغيرات ومستجدات في العصر الآموري سواء كان ذلك في بلاد الرافدين أم بلاد الشام.

(١) الماجدي، الخزعل ، مصدر نفسه، ٢٠١٩، ص٣٣١.

(٢) الماجدي، الخزعل ، مصدر سابق، ٢٠١٩، ص٣٧٨.

الخاتمة

شكل الآموريون نقطة وعلامة فارقة في تاريخ بلاد الرافدين وبلاد الشام حيث يمكننا القول أن الترابط الحضاري بين بلاد الرافدين وبلاد الشام واحداً، وانتقال العناصر الحضارية كان وما يزال من وإلى حضارة كل بلد قائماً.

بدأ توغل القبائل الآمورية إلى بلاد الرافدين بشكل تدريجي منذ العصور السومرية والأكدية، والاسم إشارة إلى جهة تلك القبائل التي هي سامية، أو بشكل أدق قبائل عربية.

وأول من أطلق عليهم التسمية كان الأكديون، وكان السومريون يشيرون لهم كذلك باسم مار–تو وتعني بلاد الغرب إشارة لسوريا، ووصفوهم بأوصاف القبائل البدوية الرحل التي لا تعرف الحضارة، ولكن التنظيم القبلي لتلك القبائل كان أساس الحكم، بمعنى أن إدارة الشيوخ للقبيلة انعكس بإدارة الدولة، فالشيخ ملك، والحكم متوارث، ورجال القبيلة هم من يتولى الأمور الإدارية والجيش في المدينة التي تحتلها تلك القبائل، لذلك لاحظنا أن لكل قبيلة مدينة استوطنتها وبدأت بإدارتها.

وشيئاً فشيئاً اندمجت مع المجتمع السومري، وهكذا بدأت عجلة الحضارة الآمورية.

لقد أدمج الآموريون تقاليدهم القبلية مع الأعراف السياسية، وانعكس ذلك من طريقة إدارتهم للمملكة وعلاقاتها الخارجية، وعليه لاحظنا التحالفات والتحالفات المضادة.

كانت التحالفات تتم وفق المصالح المشتركة، وغالباً تكون بقصد المواجهة العسكرية ضد الخصوم. وضع الآموريون أسساً وشعائر للعلاقات وإقامة المعاهدات، وصاحبتها طقوس ذات طابع ديني لإضفاء الشرعية المطلوبة.

وهناك فروق ومفاهيم بين الدول المتكافئة القوة وأخرى تكون تابعة، وهذا هو واقع الحال وقتذاك.

ونتيجة للوضع السياسي في ذلك العصر الذي سمي العصر البابلي القديم بالرغم من اعتقادنا أن العصر يمكن تسميته بالعصر الآموري كون الآموريون قد شكلوا حضارته.

توصلنا إلى أن الآموريين هم أول من وضع أسس ومفاهيم المعاهدات بشكلها العام بالرغم من كونهم ليسوا الأوائل في صنع المعاهدات، كوننا نعلم أن أقدم معاهدة كانت في أرض سومر بين سلالة لكش وسلالة أوما، وبتحكيم من ملك كيش ميسلم، فهي أول معاهدة وأقدمها، لكن أسس وقواعد المعاهدات كانت واضحة المعالم في العصر الآموري، فضلاً عن بروز معاهدات تخص الممالك المتكافئة وأخرى الممالك التابعة. إذاً أصبح لدينا نوعان من المعاهدات على طبيعة العلاقة السياسية وقتذاك.

وكانت الطقوس المصاحبة لتوقيع المعاهدات تعد جديدة في عصرها مثل التضحية بحمار أو مسك الحنجرة وغيرها، وهي بلا شك تعد عرفاً لدى القبائل، وربما كانت مستخدمة في القبيلة واستمرت حتى بعد الاستيطان في المدن.

ولما كانت الغزوات موجودة لذا يمكن اعتبار التوسع هو شكل من أشكال النفوذ، وهو كذلك، وبالتالي نصل لحقيقة تاريخية أن العصر الآموري قد شغلته الحروب في أغلب سنوات الحكم للملوك فضلاً عن تغير المعاهدة مع تغير الملوك، وهذا يعني عدم استقرار بلاد الرافدين حتى مجيء حمورابي الذي استطاع توحيد البلاد طيلة ما تبقى من حكمه إذا علمنا أن العام ٢٩ من حكمه بدأت حروبه التوحيدية واستمرت لغاية حكمه البالغة ٤٢ سنة، وفي عهد خليفته عادت البلاد إلى التجزئة.

من الأمور الأخرى هو عودة السيطرة المركزية للقصر الملكي في إدارة الدولة مع اشتراك ولي العهد في الحكم، وانفصال السلطة الدينية عن الدنيوية.

وبذلك نصل إلى استنتاج عام أن الحضارة الآمورية أرست قواعد الدبلوماسية الحقيقية والعلاقات الدولية.

الرموز المستخدمة:

JNES = Journal of Near Eastern Studies

JCS = Journal of Cuneiform Studies

CAH = Cambridge Ancient History, Cambridge

OIP = Orintal Institute Pblications, Chicago

International relations and diplomatic concepts of theAmorites (Mesopotamia as amodel,a preliminary study

Asst.Prof.Dr.Emad Tariq Tawfiq
University of Baghdad/College of Education for Women/Department of History

Abstract

The Amorite era represents a radical turning point in the history of Iraq that covered all its civilizational, political and demographic aspects , including relations between kingdoms and to ensure loyalties, they resorted to treaties that varied according to the kingdom's power or followed it to another , as each type had its own style and rituals. Our research examined the relationships in this era and the basic concepts. The relations between the kingdoms were characterized by contradictions and ranged between hostility and friendship according to common interests and the dangers facing the kingdom , and the king's personality is the main axis for establishing the treaty that frames religion to add legitimacy to it.

Our research dealt with the name and homeland of the Amorites and the political relations between the kingdoms of the Amorites to show the concepts leading to the unification of the country at the hands of Hammurabi.

We have come to highlight the historical roots that were the basis for establishing treaties, and they undoubtedly represent the traditions of the tribe ruled by the sheikh who later became the king.

Key words : relationships - civilization -Amorites